

# هاشم الرفاعي

## حَيَاتُهُ وَشِعْرُهُ

### للاستاذ محمد حسن برغيش

كأنني كنت معه على موعد ، حين كان صوته يدوي في المدياع قويا مجلجلا :  
أهوى الحياة كريمة لا قيد لا      ارهاب لا استخفاف بالانسان  
فاذا سقطت ، سقطت أحمل عزتي      يغلي دم الاحرار في شرياني

ورأيت في نبرات صوته لحناً مميزاً يلف في داخله المأ ممضا ، وفي حنايا  
كلماته ثورة معذبه يغتالها الجور ، رأيت شيئاً من مذاق الحياة الخالده ، حياة  
الذين يسرون على درب الخلود ليعطوا الحياة من ذواتهم كل شيء ، ولمحت  
الألق المضيء في ثنايا شعره الثائر ، وجلال الايمان العبق بذكريات وذكريات .  
ان هناك نظرة وراء الافق ، انها رؤية الصبح القريب ، صبح الحياة التي تنتصر  
للانسان ، تنتصر للحق والخير .

كان كل ذلك وراء الستار ، وعلى موجات الاثير ، بل كان رجع الصدى  
الذي عشت في احلامه سنيينا عجافا بعد أن سمعته في مهرجان الشعر ( في  
دمشق ) (★) وهو ينشد لحنه الخالد . رسالة الشهيد : (رسالة في ليلة التنفيذ) :

أبتاه ماذا قد يخط بناني      والحبيل والجلاد منتظران

وبفيت مع الصدى سنوات ، حتى جمعتي التدر به مرة اخرى على صفحات  
ديوانه المطبوع لأعب منه ماء زلالا ، لأرى الشعر وهو يحمل الكلمة الطيبة الى  
الناس أجمعين ، وللبائسين في هذه الحياة ، وللغرباء في ارض الله الواسعة ولأرى  
فيه لحن الشباب الذي يفهم الشاعر بقوله :

شباب ذلوا سبل المعالي      وما عرفوا سوى الاسلام دينا  
تعهدهم فأبنتهم نباتا      كريما طاب في الدنيا غصونا

(\*) طبع ديوان الشاعر باشراف وزارة التربية والتعليم في الجمهورية العربية المتحدة .

همُ وردوا الحياض مباركات  
 اذا شهدوا الوغى كانوا كئامة  
 وان جن (١) المساء فلا تراهم  
 شباب لم تحطمه الليالي  
 ولم تشهدهم الاقداح يوما  
 وما عرفوا الاغاني مائعات  
 فسالت عندهم ماءً معيناً  
 يدكون المعامل والحصونا  
 من الاشفاق الا ساجديننا  
 ولم يسلم الى الخصم العرينا  
 وقد ملأوا نواديهم مجونا  
 ولكن العلا صيفت لحونا

وكان شعره هذا يحمل دفعة الامل للشباب الصاعد الذي يصفه الشاعر ،  
 ولسراة الدرب الطويل .

حياتنا اليوم ملأى بكل ما تنثره المطابع من الفث والسمين ، فكل يوم ديوان ،  
 وكل اسبوع كتاب ، هذا باسم الشعر الحديث ، وهذا باسم الشعر المنشور ،  
 وهذا باسم الفن ، وذلك باسم الواقعية .. و .. و .... وقد تبحث في كل  
 هذا شيء ضائع مفقود ، ولعلك تضيع في زحمة هذه الفوضى ، وقد تصطدم  
 بجدار أسود ، أو تخيب في متاهة من الضياع والتمزق . هنا وهناك على  
 صفحات الجرائد والمجلات ما يكتب وينظم ، حول شيء وحول لاشيء ، وكله  
 يحمل أسماء منمقة لامعة ، وكلهم كلهم شعراء وكتاب . كلهم يمثلون « التجربة  
 الجديدة » ، والرؤية الشعرية الجديدة « والقاريء المسكين الذي عرف الكلمة  
 الشعرية حية عبقة بالفكر والخيال وال عاطفة . وتذوق الادب الحي . وتمرس في  
 الفن الصحيح أيا كان مصدره وأيا كان نوعه ، هذا القاريء المسكين أصبح  
 اليوم يعوزه الف عين جديدة - وتعوزه ( النظارات ) المكبرة حتى يرى الرؤية  
 الجديدة ولكنه - واحسرتاه - لم يجد على - عربات - البائعين وبين الدواوين  
 والكتاب أذواقا جديدة يشتريها لكي يتذوق ما يقرأه في الفن الحديث .

لقد كان يشعر بجمال الكلمة . يتذوق الشعر والنثر وكافة الفنون ،  
 وتتفاعل مع وجدانه ، وتحرك كوامن تفكيره ، وتدفع بخياله الى دنياوات  
 ودنياوات .

اما اليوم فقد رأى نفسه كسيحا أعمى أصم ، لم يتذوق ، ولم يشعر ،  
 ولم ينطلق رغم كل الزغاريد المصطنعة للتبشير بشعراء الجيل الجديد .

ولا يمكنه أن يرى فيهم ما يطلق عنده الخيال أو يثير الشعور ، أو يحرك  
 تفكيره لانه لا يمكن أن يكون الكلام المبعثر المضطرب ، أو الصبارات الغامضة ، أو  
 الوقوف الحائرة الغريبة التي تحيطها اشارات الاستفهام والتعجب ، أو تعقبها  
 حائط الفراغ والصمت ، لا يمكن لهذا كله أن يحيي عنده موات الامل ، ولا يمكن  
 أن يحرك وترا في نفسه شد ما حركه الادب الخالد .

(١) جن الليل : اظلم

وفي الجانب الآخر شعراء كثيرون ، وكتاب أكثر تلعنهم الحياة بضبابها الخادع المظلم ، ولا تكاد نحس بأنفاسهم المحترقة ، ولا تكاد أصواتهم المخنوقة أن تصل الى أذن مخلوق آدمي ، انهم أودعوا سجن النسيان ، وقيل لهم : انتم من سجناء الدمن الدوائر فلتظلوا هناك ، وسوف يلغىكم القيد - الف قيد - حتى تموتوا تحت لظى شمس الصحراء المحرقة ، أو في برد القمم العالية ، وأصبحت تجربتهم المضمخه بالصدق والجمال تجربتهم التي سارت على درب الخلود أثرا ضائعا ، ونسيا منسيا !!

وكل ذلك لأنهم لم يكونوا مع سيل الحياة المجنون ، مع لهيب الطمع الحارق .. ولأنهم لم يأخذوا حظهم من المذاهب الادبية الحديثة الوافده ، ويرى فيهم شاعرنا هاشم وفي شعرهم غير الذي يظنون ويخطبهم :

|                           |                          |
|---------------------------|--------------------------|
| ايها الهاتفون بالشعر حرا  | ولكم دعوة به طنانه       |
| قد أتيتم له بنهج غريب     | يفرض اليوم بينكم سلطانه  |
| وهجرتم توافه النبي        | وأبنتم بعلمكم نقصانه     |
| وتشدقتم بزخرف قول         | عن مفاهيم نمقتها الرطانه |
| ثم قلت من الحياة كلاما    | ومن الواقع استمد كيانه   |
| ليس شعرا وإنما هو شيء     | فوقه الشعر رتبة ومكانه   |
| ذهبت عنه روعة للحن        | يرهف الدهر عندها آذانه   |
| وخلا من أصالة وجلال       | بهما أظهر الزمان افتتانه |
| انما الشعر ما تدفق عذبا   | في بناء فأحكموا بنيانه   |
| اسمعونا اذا استطعتم قريضا | لا خيالات جالس في حانه   |
| فاذا شقت القيود عليكم     | فدمعه لمن يصوغ جمانه     |

ان مقاييس الادب من مقاييس الحياة ، والادب الخالد ما مثل هذه الحياة ، وان تكون الحياة عبثا ، لن تكون انفلاتا من القيد والقانون ، لن تكون شيئا يسير بلا ناموس ، والادب هو الذي ينظر بمنظار هذه النواميس الخالده ، ولا تلفه ظلمة اللحد ، ولا تعشو أنظاره عند الومضة الخاطفه .

ومقاييس الادب - أيضا - تنسجم كل الانسجام مع طبيعة الكون ، مع هذه السماوات الرائعة ، ومع الأرض بكل ما فيها من روعة وعظمة وجلال . مع الانسان وكل ما حمل من دقائق الخيال والشعور والفكر ، فالحياة تأخذ من الادب صورها الجميلة وتعطيه صورته الرائعة أيضا . وكل ما في الكون مجال رحب للادب لانطلاقة خياله ، وابداع تفكيره وجودة سبكه ، وروعة أسلوبه .

ومهما يكن من ضجيج ، فاللحن الخالد سوف يبقى ، وسوف يبرز فريداً مميزا بين صخب الناعقين وصراخ العابثين .

## حياة الشاعر

- ١ -

### البيئة الاجتماعية :

كانت مصر في آخر العهد الملكي صورة للصراع المحتدم بين الشعب والسلطة : فهناك الملك وحاشيته بكل ما تمثل هذه الصورة : من حكم مطلق مستبد يسخر كل ما في البلاد من قوى وامكانيات لخدمة الملك ومصالحه ، ولخدمة حاشيته ومن حوله ، كل ذلك شريطة أن لا ينافي هذا الاستبداد والاستغلال مصالح المستعمر الذي يحكم من وراء ستار .

فالملك له مصالحه الخاصة ، له ملاذ ومجونه واستهتاره ، وله اقطاعياته وقصوره واملاكه ، وله أن يتصرف على هواه ضمن المصالح الكبرى للانكليز . وقد يستخدم في ذلك الاعوان والحاشية ، فنرى هناك طبقة من العملاء الذين يتعاونون معه وينفذون اوامره لينالهم قسط كبير من الاقطاعيات والأعطيات ولكي ينالهم شيء من المغانم المسروقة من الشعب ، ويصور ذلك الشاعر هاشم الرفاعي فيقول :

حكم الكنسانة خائن مستهتر      طاغ بشأن بلاده لم يحفل  
ان شيد للأصلاح صرح كرامة      يسعى الى هدم البناء بمعول  
سائل هناك القصر عن رب الهوى      والليل : كيف نهاية التبدل ؟

وكانت الوزارات المتعاقبة قبيل عام ١٩٥٢ مثلا على ذلك الصراع وتلك الفوضى وذلك الاستغلال ، فالوزارة والمنصب ضرع حلوب يتعاوره المستوزرون وطلاب المغانم والمستغلون والعملاء ، وكل واحد منهم يود أن يستزيد من هذا الضرع ويدخر ما يستطيع لمستقبل أيامه السوداء ، وبدت البلاد كأنها شركة بين ثلاثة ، الانكليز والملك ، والاقطاعيون والاعوان ، يتقاسمون المغانم والنعم ، اما المغارم والنوازل ، فالشعب صاحبها ، يستقيها بصدرة المطعون ، هذا الشعب المسكين الذي كان يزرع تحت وطأة الاحتلال والاستبداد والاقطاع والظلم .

لقد كان الشعب فريسة معذبة ، ينهش منها الظالمون . فقير مظلوم ، تنتابه الأمراض والعلل ، وينوء تحت اعباء الحياة والظلم والاستبداد ، وكان يبسود كالبحيرة ، وجهها هادئ ساكن ، تسرح فيها زوارق السيادة والحاشية والمستعمرين ، اما في الاعماق . فهناك التيار القوي الصاخب ، هناك يتحرك هذا المد العنيف ببطء لكنه يتحضر لكي يثور ويقلب وجه البحيرة الى أمواج عاتية . انه تيار الحياة ، تيار الشعب يتحرك يمينا وشمالا وينتظر ساعة الانفجار ، ليكون مدا كاسحا يلقي بالسيادة وزوارقهم ، الى اليابسة المحرقة . ويعفر وجوههم

بالرمال ، أو يبتلعهم طعاما لأسماكها الجائعة .

ذاق الفقير بها الحياة ذميمة  
كم غاصب ارضا لهم بسياطه  
كم بالدم المهرق من ابدانهم  
كم بالندى المثلث (١) فوق جباههم  
كم فاقد للقوت بات على الطوى  
الغرس غرسهم ، وقدروى الثرى  
عملوا له حتى بدت اثماره  
كم بانتقام الكاظمين لغيظهم  
كم باللظى المشبوب في أعماقهم  
وأخو الهوان - ولو يطول هوانه -  
يصليه من ظلم الطفأة سفير  
دميت جلود<sup>٢</sup> ألهمت وظهور  
ملكنت ضياع<sup>٣</sup> جمّة وقصور  
حملت تضاراً (٢) للنساء نحور  
والرزق عند المالكين وفير  
عرق<sup>٤</sup> لهم فوق الجباه غزير  
ما بال من لم يشق فيه يجور !  
جاشت نفوس حرة وصدور  
لسقوط الاستبداد فاض شعور  
لابد يوماً أنه سيثور

وكثيرا ما كانت ، تبدو هذه الحالة على صفحات الجرائد والمجلات أو في بعض الكتب والمنشورات التي يتداولها الشعب لكي يعرف الحقيقة ويتحفز للثورة على ظالميه .

هذه الصور المتباينة كانت تؤثر في شاعرنا ، خاصة وأن داره تقع مقابلة لأحد القصور الملكية في انشاص ، ولذلك فان صورة القصر الشاهق المليء بالسهرات الماجنه ، والعربده المخزيه ، وصورة الاقطاعيين الذين يستدلون بالناس ، ويعاملون الفلاحين معاملة الانعام ، ويكثرون الذهب والفضه من عرق المساكين المعذبين ليضعوها في ( المصارف ) الاجنبية حتى تكون قوة يبيد الاستعمار ضد هذا الشعب ، هذه الصورة مع الصورة المقابلة للشعب البائس المسكين الذي لا يجد أفراده ما يسترون به اجسامهم أو يسدون جوعهم ، أو يدفعون عنهم وعن عوائلهم الحر والبرد .

هاتان الصورتان كانتا تطبعان المجتمع المصري آنذاك وتؤثران في احساس شاعرنا . لقد كانت صورة مفزعة مؤلمة : مظالم واستبدادا . وفسادا وطبقات .

ملكية ينخر في جسمها الفساد والرشوة والظلم والمجون  
وشعب محروم مظلوم ،

ومستعمر يتستر تحت أسماء وشعارات يحكم البلاد ويستغل الامكانيات  
وجنوده تسرح وتمرح على طول القناة .

هذه الصورة كلها كانت تطبع المجتمع العربي في مصر بهذا الطابع المفجع ، رغم ما كان يبدو على سطحه من الهدوء الظاهري ، لكنه يخفي كثيرا من التيارات في الداخل والتي تملك قوة التغيير لهذا السطح .

(١) المثلث : المتناثر (٢) التضار : الذهب

أما من الناحية الثقافية ، فقد كانت مصر آنذاك في طليعة البلاد العربية والإسلامية .

وإن كثيرا من الأفكار والمبادئ والمدارس الأدبية نشأت هناك ، وبلغت الحركة الثقافية أوجها في أوائل العقد الخامس من هذا القرن حين وصلت الصحف إلى رقم قياسي في عددها مع المجلات الأدبية والثقافية والفكرية . . ومن ذلك نشأ الصراع الفكري الذي توسع وتطور فيما بعد ، وامتد إلى غيرها من الأقطار فهناك من يرون أن الثقافة الغربية بكل ما فيها هي القدوة والمطمح والطريق ، وعلى ذلك فهم يرفضون القديم ، ويركزون كل ما يمت إليه بصلة ، ويسعون لطبع الحياة بطابع الحياة الغربية بكل مظاهرها المختلفة ، ونشأ هذا التيسار بفضل البعثات والترجمات والمعجبين بالغرب المأخوذين بحضارته أو بتأثير المحتل الغاصب .

وهناك من يرون أن المحافظة على كياننا وشخصيتنا الذاتية هو الذي يحفظ استقلالنا ويمدنا بقوة هائلة في صراعنا مع الاستعمار والتخلف ، ولا يكون ذلك إلا باحياء تراثنا المرتكز على ما خلفه لنا الإسلام وحضارته الرائعة ، روحا ومادة حسب ما يتلاءم مع هذا العصر المتقدم ، ويقاومون أفساد التراث أو تشويبه أو إبعاده عن تيار الفكر الحديث ، ولا يرفضون الاخذ من التقدم العلمي للغرب دون السير وراءه بكل مظاهره وسلوكه ، هذان التياران كان لهما دور كبير في الحياة أيضا ، ولقد عاش في خضمهما شاعرنا كما سنرى فيما بعد .

هذه هي الصورة المجملة بخيوطها العريضة التي عاش فيها شاعرنا ( جامع هاشم الرفاعي ) وهو اسمه الحقيقي الذي ولد في انشاص من إقليم الشرقية عام ١٩٣٥ ، والذي عرف فيما بعد باسم ( هاشم الرفاعي ) .

والشاعر من أسرة عرفت بعلمها الغزير وتدينها المتوارث ، ومحافظتها على الآداب الإسلامية ، فوالده ( محمد جامع ) عالم متصوف يقول الشعر ، وجده هاشم الرفاعي كان عالما من علماء التصوف بمصر ، ورئيس طريقة صوفية فلقد تلقى العلم عن والده في الأزهر ، ثم تولى مشيخة ( الطريقة ) بعد أبيه

وكان له تلاميذ ومريدون في مختلف الأقاليم الشرقية والدقهلية والقيلوبية والغربية والصعيد ، وكثيرا ما كان يطوف في الأقاليم يفقه الناس في الدين

ويرشدهم الى الطريق الصحيح ، ويعتمد في تعليمه طريقة شرح البخاري ، حيث يتم شرحه في كل بلدة ثم يغادرها الى غيرها . وكان يعتمد في ارشاده على تعليم الفضائل الدينية بطريقة عملية ، يأخذ طلابه ومريديه بالتربية الروحية ، ومجاهدة النفس للخلاص من كل زيغ أو انحراف ، ويؤثر عنه أنه كان قوي التأثير في الناس وخاصة الخارجين عن الدين ، الضالين في المجتمع ، المسرفين على أنفسهم وعلى الناس . وكثيرا ما استطاع ان يعيد عددا منهم الى جادة الصواب تائبين منيبين .

وينتسب الشاعر مع عائلته الى جده الاكبر السيد مصطفى الرفاعي . وهو عالم جليل متصوف عرف بتقواه وعلمه ، وتأثيره على طلابه .

وكثيرا ما كان الشاعر يلقي القصائد الغر في ذكرى مولد جده هاشم ، ويبدو ان العائلة اعتادت تخليد ذكرى جدها في كل عام .

اليك سعى الاحباب والصحب يا جدك  
نجايب اضعها المسير بأهلها  
فما أعود الساعي لأرضك نأيتها  
وذو الظمأ المشتاق لا يعرف الونى  
نفوس هي الايمان والطهر أقيلت  
أتك زرافات تغالب شوقها  
يحررقهم شوق ويدفعهم وجد  
وطال بها التأويب (١) والرمل (٢) والوخد (٣)  
ولا أعجز الساعي على رجله بعد  
ولا الضعف حتى يستبين له الورد  
يفيض بها حب ويملؤها ود  
وجاء اليك الوفد يتبعه الوفد

وهذا يدل على مكانة جده وأثره في نفس الشاعر ، لذا فلا عجب أن ينشأ نشأة دينية مستقيمة : يتلقى العلم ، ويتشرب قلبه وفكره الاسلام عقيدة وشريعة ، ويتدرب على الطاعات والخلاق والاستقامة ، وينأى بشخصه وسلوكه عن المفاسد والانحرافات والفوايات .

لقد كان يحضر في مجلس أبيه دروس العلم والعبادة والتوجيه ، فتألق هذه الدروس بفكره وقلبه ، وتمتزج مع ذكريات طفولته وصباه ، وتظل صورا حية معه حتى الكبر . وتعود وهو فتى صغير أن يقضي جانبا كبيرا من الليل مع أترابه وهو يستمع الى شاعر الربابة ينشد ملحمة ( أبي زيد الهلالي ) حتى حفظ هذه الملحمة وصار يعيد انشادها بين أترابه متمثلا صورة الشاعر أو البطل ، وكأنه كان يعد نفسه لكي يقف في المحافل الكبيرة منشدا أقوى الاناشيد وأعذب الالحن .

وفي أوقات الاصيل ، مع أشعة الشمس المخضبة بلون الغروب البنفسجي

(١) التأويب : السير طول النهار

(٢) الرمل ( يفتح الميم ) : الهولة وسكنت هنا للضرورة

(٣) الوخد : اسراع البعير وهو يرمي بقوائمه كالنعام

كان شاعرنا يتملى من مناظر الطبيعة الملهمة ، وتترك هذه المناظر عنده أجمل الذكريات ، وغدت صورة حية تملأ أحاسيسه وخياله ، وتبرز في شعره أزهى انصور .

في ربوع ظلالها فتانه  
صادح الطير في رباها تغنى  
وجرى الماء بالحياة نماءً  
ونسيم مؤرّجٌ قد تهادى  
وعلى الشاطئ المقابل راعٍ  
بين تلك الربا وهذي المغاني  
قد عرفت الوجود طفلاً بريئاً  
يسط السحر فوقها الوانه  
وشدا للخميلة الفياناه  
طرز العشب والندى غدرانه  
في مجون يراقص السنديانه  
ساق للعشب فوقه قطعانه  
والرؤى والمفاتن العريانه  
حظّه منه أن يمصّ بنانه

في هذه البيئة الطبيعية والبيتية التي تملأ الحس والفكر والقلب عاشق الشاعر الشاب ، وتفتحت حواسه لتعب ما حولها من جمال وروعة وعمق ، نه بدأت مواهبه بالنمو والتفتح خاصة بعد التحاقه بالمعهد الديني بالزقازيق عام ١٩٤٧ ، وكان قد ترك التعليم الابتدائي وهو على أبواب الشهادة الابتدائية ، وحفظ القرآن الكريم قبل دخول المعهد الديني ولما يتجاوز الثالثة عشرة من عمره . وهنا ظهرت ملكته الشعرية وبدأ ينظم الشعر في هذه السن المبكرة ومن أوائل شعره ما نظمه من وحي نكبة فلسطين وحوادثها الدامية آنذاك .

ولم تمض الا فترة قصيرة حتى استقام نظمه مبنى ومعنى ، وبدأ بنشر بعض نمرة على صفحات الجرائد والمجلات وخاصة في جريدة الزمان التي كان يشرف على ركنها الادبي الشاعر المرحوم محمد الاسمر في عام ١٩٥١ .

ولقد ظهرت تجربة الشاعر الشعرية الجديدة وهي تحمل طابعه المميز الذي يدل على ثروة لغوية واسعة ، ومقدرة بيانية كبيرة حتى انها كانت تسبق سنه الصغيرة بمراحل بعيدة .

وفي سنة ١٩٥١ حصل على الشهادة الابتدائية الازهرية وبعد خمسة أعوام تخرج من معهد الزقازيق وهو يحمل الشهادة الثانوية الازهرية ( في عام ١٩٥٧ ) . وعندها التحق بكلية دار العلوم .

لقد تأثر الشاعر بالازهر أثناء دراسته فيه ، وزوده بالثقافة الاسلامية واللغة المتينة ، والاطلاع الواسع على أساليب العربية . ولكن الشاعر استطاع ان يطلع على الفنون الحديثة ويمارس بعضها ، ونجد اثرا لذلك في ديوانه .

واعتبر الشاعر الازهر منارة لنشر الهداية ، واثرا خالدا من آثار الماضي لذلك قال فيه :

هو السؤدد الماضي تدق بشائره  
 ذكرت به التاريخ يزخر نهضة  
 غداة سما بالدين في مصر صرحه  
 وأصبح للإسلام في الأرض قبلة  
 فمعقل أرشاد ومنبع حكمة  
 وتغمرنا أمجاده ومفاخره  
 أضاعت لها في الشرق عزا منابره  
 يفيض على الأكوان علما زواخره  
 على بابه لا يرفع الهام زائره  
 وبحر علوم ليس يدرك آخره

وكانت الفترة التي أمضاها بمعهد الزقازيق حتى عام ١٩٥٦ ذات أثر كبير في إبراز معالم شخصيته ، خاصة وأنها الفترة التي أعقبت نكبة فلسطين وقيام الثورات ، وتيقظ الشعب العربي ، ولذا فإن الشاعر كان يشترك في كثير من المظاهرات والثورات ضد الاحتلال الإنكليزي ، وضد الخيانة في فلسطين ، وضد استبداد الملك ، ولقد قاد أحد هذه المظاهرات الصاخبة التي قوبلت بالرصاص فأصابته واحدة منها كادت تؤدي بحياته في عام ١٩٥٠ .

ثم اشترك بالنشاط الفدائي الذي قام على ضفاف القناة ضد الإنكليز والذي عجزت قوى الاحتلال ، ودسائس الملك أن تقضي عليه أو تحد من سعيه ، وأصبح ذا قوة خطيرة على الملك والمحتل مما أجبر الإنكليز عام ١٩٥٤ على توقيع معاهدة الجلاء عن القناة .

وكان من جراء اشتراكه بالعمل الفدائي أن أبعدته السلطات من معهد الزقازيق وحرمته من اندراسة عند الدولة ، ولكنه لم يلبث أن عاد الى المعهد بعد أن أطيح بالملكية . ويصف عودته قائلا :

رجعنا وخاب المنذر المتوعد  
 وعندنا بعون الله والعود أحمد  
 خرجنا رجلا يعرف الكل بأسهم  
 وجئنا وفي أضلاعنا العزم موقد  
 فما أوهن الأبعاد منا عزيمة  
 ولانال من أسد الشرى المستأسد

وظهرت يقظة الشاعر الشاب ووعيه للمعركة الدائرة بين الشعب وظالميه ولذلك كان يفهم الدين حق الفهم ولا تغره المظاهر الخادعة ، بل يرى أن الدين سلوك وعقيدة ، لذلك كان يعرض بالمتلبس بزي رجل الدين والذي أصدر قرارا بإبعاده وهو العميل للملك والمحتل فقال :

فقولوا لشيخ السوء - لا بورك اسمه -  
 أجنّت عميدا أم ترى جنّت غازيا  
 لحا الله أعوانا لئاما تجمعوا  
 ترى بينهم من يرتدي زي عالم  
 وتحسبه عند الملاقاة مصلحا  
 ذليل يرى الملك الذليل إلهه  
 ولا عاش باسم العلم فينا يقيد  
 فأنت على الطلاب صخر وجلمد  
 هم الذئب غدرا والرياء الجسد  
 فقيه وفي الآثواب جهل مؤكد  
 ولكنه في الخبث والسدس أوحد  
 يكاد له خوفا يصلي ويسجد

وفي سنة ١٩٥٢ كان بيته ملتقى الشباب والفدائيين والعمل ضد الملك وأهوانه ، وللتحضير ضد الطفيان والاحتلال ، لذلك كثيرا ما كانت تحاصر داره وتحاصر انشاص بجنود الاعداء بحثا عن الفدائيين ، ولقد اعتقل اخوه الاكبر مصطفى في هذه السنة وقبيل الاطاحة بالملك .

وبعد قيام الثورة عام ١٩٥٢ الذي عمل لها مع اخوانه فدائيي القناة ، ومهدوا لقيامها بايقاظ الشعب وتبصيره بواقعه المتخلف ، عاد لاكمال دراسته بمعهد الزقازيق حتى عام ١٩٥٦ وبعدها انتقل الى كلية دار العلوم ، وهذه السنوات ( ما بين ٥٢ - ٥٦ ) كانت أخصب فترات حياته الشعرية ، وهي تمثل تجربته في الحياة ، وتعبيره عن مآسي المظلومين والمكافحين ، والذين يقضون في السجون والمعتقلات في كل بلد عربي ، وأحرز لقب الطالب المثالي في الجمهورية العربية المتحدة لتفوقه وسلوكه ونال أيضا الجوائز الكثيرة على قصائد الرائعة . ولغوزه بالمسابقات العديدة .

واشترك في مهرجان الشعر في عام ١٩٥٩ بدمشق . ونال الجائزة الاولى على قصيدته ( رسالة في ليلة التنفيذ ) .

ولكن الذين رأوا في الشاعر قوة من قوى الخير . وأنه سوف يكون قوة هائلة بعد أن بدأ يعلو على سنام المجد ، هؤلاء عملوا على اغتياله في مساء الاربعاء الثاني من شهر تموز / ١٩٥٩ وذهب دمه هدرا على يد المجرمين .

#### - ٤ -

على الرغم من أننا استطعنا معرفة شي عن حياة هذا الشاعر الشهيد ، فاننا لا نزال نجد غموضا كبيرا يلف حياة الشاعر ، لان المصدر الوحيد الذي يصلنا بالشاعر هو ديوانه المطبوع باشراف وزارة التربية والتعليم في الجمهورية العربية المتحدة ثم من المقدمة والكتيب اللذين كتبهما السيد محمد كامل حته عن حياة الشاعر .

واعتقد أن هناك فترات مهمة من حياته ، ومواقف مؤثرة لم تتوضح خاصة وأن شعره ينم عن ذلك ويشير اليه بأظهر الاشارات .

لقد كان الشاعر واحدا من الذين حملوا دعوة الاسلام ونادوا به في كل محفل ، ورأوا فيه الطريق الوحيد لاصلاح الحياة واستمرارها ، وسنوضح ذلك عن دراسة شعره بالتفصيل فيما بعد .

وكذلك ، أرى أن آثار الشاعر ليست هي كل ما في هذا الديوان المطبوع

بل لا بد أن تكون هناك قصائد ومقطعات وكتابات أخرى أبعدت عن الديوان ، أو لا تزال عند ذويه وأقاربه لسبب أو لآخر .

وأسأل الله أن يعينني على توضيح هذه الغوامض واستدراك هذه النواقص في المستقبل .

### آثاره :

للشاعر ديوان مطبوع بإشراف وزارة التربية والتعليم في الجمهورية العربية المتحدة ، وقد حقق الديوان وقدم له مع دراسة مختصرة السيد محمد كامل حته ، وتولى تقديمه كمال الدين حسين أيضا .

ويتألف الديوان من ( ٣٧١ ) صفحة من القطع الكبير ، تأخذ الدراسة والتقديم ( ٦٢ ) صفحة من صفحاته .

ولقد اتبع المحقق تقسيم أشعاره ووضع بعض المقدمات لها حسب الفصول التالية :

١ - في ظلال الريف ٢ - ذكريات دينية ٣ - غزل ٤ - صور وجدانية  
٥ - رثاء ٦ - هجاء ٧ - أزهاريات ٨ - تحت راية القومية العربية ٩ - متفرقات  
والحق بالديوان مسرحية شعرية بعنوان شهيد بني عذره وهي للشاعر أيضا ، ثم ختمه ببعض الأشعار الزجلية والفكاهية للشاعر .

ومن تقسيم الديوان ومطالعة مضمونه ، وقراءة بعض المقدمات للقصائد نجد مفارقات كبيرة . فكثيرا ما تنبئ القصيدة غير ما قصد إليه الدارس ، وسنوضح ذلك إن شاء الله .

ولقد نشر الدارس ( محمد كامل حته ) كتابا صغيرا بسلسلة اقرأ دراسة بسيطة عن الشاعر تحت عنوان ( الشاعر الشهيد ) وهي الدراسة الموجودة في مقدمة الديوان نفسها مع بعض التوسع ، والحق بالكتاب عددا من القصائد التي أقيمت بحفلة تأييد الشاعر تحت رعاية المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية بالقاهرة في ٢٧ تشرين الأول ١٩٥٩ بقاعة المحاضرات الكبرى بجامعة القاهرة .

### - للبحث صلة -